تحديات تفسير الآيات العلمية من وجهة نظر آية الله جوادي آملي

حسن فيروزنيا
طالب دكتوراه، قسم الالهيات ـ فرع علوم القرآن والحديث، كلية أصول الدين، قم، إيران
hfirouznia421@gmail.com
الدكتور حيدر علي رستمي (الكاتب المسؤول)
أستاذ، قسم الالهيات، كلية أصول الدين، قم، إيران
hrostami20@yahoo.com
الدكتور حسين شريف عسكري
أستاذ، قسم الالهيات، كلية أصول الدين، قم، إيران
sharifaskari53@gmail.com

Challenges of interpreting scientific verses from the point of view of Ayatollah Javadi Amoli

Hassan Firouznia
PhD student , Department of Theology - Department of Quranic Sciences and Hadith , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran
Dr. Haider Ali Rostami (the responsible writer)
professor , Department of Theology , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran
Dr. Hussein Sharif Askari
professor , Department of Theology , Faculty of Usul al-Din , Qom , Iran

المُلَخَّص:

مما لاشكَّ فيه أنَّ لكل أسلوب من أساليب التفسير، تحديات وآفات تجعل الحصول على النتائج المتوخاة منها صعبة و عسيرة، وربَّما تجعل عمل المفسر مبتوراً أو عقيما. إنَّ الخطوة الأولى لحل هذه المشاكل المهمة هي معرفة هذه التحديات والآفات بشكل دقيق، حتى نتمكن في الخطوة الثانية الوقاية منها، وذلك من خلال مراعاة الشروط والأحكام العامة أو الخاصة.

لقد بذل علماء تفسيرالقرآن المجيد والبحوث المتعلقة بالتفسير العلمي، الذي يُعَدُّ طريقة حديثة، لتبين الدلالات القرآنية، قصارى جهودهم للتعرّف على تحديات وأضرار هذه الطريقة والتفكير في تدارك حلول لها. ومن هؤلاء العلماء، يمكن الإشارة إلى آية الله جوادي آملي، الذي تطرّق، من خلال بحوثه القرآنية، إلى هذه القضية. وقد أفصحَ عن مضامين قيِّمة في هذا المجال. وما هذا المقال إلا دراسة لآراء هذا الباحث في هذا المجال .

يرى آية الله جوادي آملي أنَّ ضعف الأسس والافتراضيات، ومحدودية المعرفة البشريّة، لاسيَّما في مجال العلوم التجريبية وفي فهم الآيات العلمية، وإهمال علوم المعرفة المجردة لإثبات الاستنتاجات القرآنية، وإعطاء الأصالة للحس والتجربة كمعيار للمعرفة، والإيمان بضرورةالعلوم التجريبية في كافة الشؤون، وقبول الخبر المفرد، هي من أهم التحديات في طريق تَبْيين الآيات المتعلقة بأنطولوجيا العالم.

وبناءً على ذلك، ونظرًا إلى التحديات المذكورة أعلاه، يمكن القول إنَّ وجهة نظر الأستاذ هي أن العلوم التجريبية غير قادرة على تفسيرالآيات العلمية للقرآن الكريم بشكل وافٍ ومُكْتَمِلٍ، لأنَّه لا يمكن اكتشاف معنى المتكلم عن طريق الاعتماد على الحس والتجربة دون الرجوع إلى العلوم المجردة والبرهان القطعي والوحي الإلهي، إلا إذا فَطِنَا إلى طرق علاج الآفات و التحديات المذكورة، حينها يمكن التوصل إلى تفسير علمي مقبول لآيات القرآن العلمية.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي وتحدياته، العلوم التجريبية والحسية، آية الله جوادي آملي، الآيات العلمية.

Abstract:-

There is no doubt that each method of interpretation has challenges and disadvantages that make it difficult and arduous to obtain the desired results, and may make the interpreter's work truncated or sterile. The first step to solving these important problems is to know these challenges and disadvantages accurately, so that in the second step we can prevent them, by observing the general or specific terms and conditions.

Scholars of interpretation of the Holy Quran and research related to scientific interpretation, which is considered a modern method to clarify the meanings of the Quran, have made every effort to identify the challenges and disadvantages of this method and to think about addressing solutions for them. Among these scholars, we can mention Ayatollah Javadi Amoli, who addressed this issue through his Quranic research. He revealed valuable contents in this field. This article is nothing but a study of the views of this researcher in this field. Ayatollah Javadi Amoli believes that the weakness of foundations and assumptions, the limited human knowledge, especially in the field of experimental sciences and in understanding scientific verses, the neglect of abstract knowledge sciences to prove Quranic conclusions, giving originality to sense and experience as a criterion of knowledge, the belief in the necessity of experimental sciences in all matters, and the acceptance of single news are among the most important challenges in the way of explaining the verses related to the ontology of the world.

Based on this, and in view of the challenges mentioned above, it can be said that the professor's point of view is that experimental sciences are unable to explain the scientific verses of the Holy Quran in a comprehensive and complete manner, because the meaning of the speaker cannot be discovered by relying on sense and experience without referring to abstract sciences, definitive proof, and divine revelation, unless we are aware of the ways to treat the mentioned afflictions and challenges, then we can reach an acceptable scientific interpretation of the scientific verses of the Quran.

Key words: Scientific interpretation and its challenges, experimental and sensory sciences, Ayatollah Javadi Amoli, scientific verses.

التمهيد:

إنَّ مُضِيّ أكثر من أربعة عشر قرنًا على نزول القرآن الكريم، والسرعة الهائلة للتقدم العلمي والتكنولوجي في اكتشاف حقائق جديدة حول ظواهر الكون، دفعَ العديدَ من علماء المسلمين المُهتمين بالعلوم التجريبية إلى مراجعة العلوم الدينية لاسيما القرآن، والاهتمام بالآيات العلمية لهذا الكتاب ومقارنتها بالاكتشافات العلمية الشائعة في المجتمعات البشرية. وبناء على بعض البحوث، اعتبر البعضُ عدد الآيات العلمية ٨٠٠ آية، ويرى آخرون ١٠٠٠ آية، ومنهم من يرى أن عددها يبلغ ١٣ آية (الجميلي، ١٤١٨ق، ص٣٥).

وهذا يظهر أن ما لايقل عن عشرة بالمائة من القرآن الكريم اختصت آياته بالظواهر الوجودية في عالم الخلق[1]. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نجزم انه لايوجد كتاب من الكتب السماوية تحدث عن كائنات العالم والآفاق والأنفس كما تحدث القرآن الكريم.ولذلك أصبح العديد من المفكرين المسلمين وغير المسلمين-بعد اكتشاف الحقائق العلمية- يسارعون إلى دراسة القرآن والتأمل فيه بدقة.

وقد ذهب البعض إلى الغلو والمبالغة في هذا المجال وظنّوا أنَّ القرآن كتاب علم تجريبي، وقالوا إنّه يحتوي على كل العلوم. ومن هؤلاء الباحثين في هذا المجال: أحمد الغزالي (٥٠٥هـ)، وابن أبي الفضل المرسي (٦٥٥هـ)، والزركشي (٧٦٤هـ)، والسيوطي (٩١١هـ)، والسيد هبة الإسلام الشهرستاني (١٣٦٩هـ) وغيرهم. وبناءً على مايدَّعون، فإن القرآن يشتمل على جميع العناصر الأساسية للعلوم التجريبية.

وفي المقابل، اتَّخذ بعض العلماء طريق التفريط واعتبروا القرآنَ بعيدًا كلّ البعدِ عن العلوم الحسية؛ ومن هؤلاءالعلماء يمكن الإشارة إلى أبي إسحاق الشاطبي (٧٩٢هـ)، والشيخ محمود شلتوت (١٩٦٣م)، وأمين الخولي (١٩٦٦م)، ومحمد دروزه (١٨٨٨م) وأمثالهم، فهؤلاء يعتقدون أنَّ القرآن لم ينزل لتعليم التكنولوجيا والعلوم، وإنّما هو كتاب هداية للبشرية من قبل الله-تعالى-، وحيثما ذُكرت آيات حول الكون، فما هي إلا لتحفيز الناس وَحثّهم على اكتشاف أسرار الكون.

وبين هذا وذاك، اختارالبعضُ طريقَ الاعتدال، وعدم الإفراط والتفريط أوالميل إلى أحد الجانبين. وآية الله جوادي آملي هو واحدٌ من هؤلاء المفكرين. وفي الحقيقة، يمكن

اعتباره، وفق شروط ومعايير معينة، من مؤيدي التفسير العلمي، لا من مُعارضيه.

إنَّ غرض القرآن، من وجهة نظر آية الله جوادي آملي، ليس مجرد التعبير عن القضايا العلمية وتحليل المعلومات التجريبية والحسية، على الرغم من أنه وأثناء بيان القضايا العلمية، طلب من مخاطبيه استخدام الحس والتجربة كأحدى الأدوات لفهم آيات القرآن، إلا أنَّ الغرض الأساسي من نزول الآيات العلمية هو استخدام الأحاسيس البشرية والطبيعية وتشجيعها والحَثّ على معرفتها وتسييرها نحو الهداية الإلهية.

واستناداً إلى الوثائق الموجودة، وهي مؤلفات آية الله جوادي آملي، فإن تحديات تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم لم يتم ذكرها بشكل واضح ومتماسك، بل من خلال دراسة آرائه وفهم فحوى كلماته. أهم المشاكل التي تعترض طريق تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم يمكن إجمالها على النحو التالي:

١. ضعف أساسيات وفرضيات المفسر.

٢. محدودية المعرفة التجريبية في فهم آيات القرآن، أي التفرد في نطاق الإدراك الحسي والتجريبي في المادة.

٣. عدم الاهتمام بحاجة العلوم الإنسانية إلى المعرفة المجردة والعقلية لإثبات النتائج التي توصلوا إليها.

٤. تصديق التجربة الحسية كمعيار لنظرية المعرفة في مجال العلوم التجريبية والوقوع في حصار أدوات الاختبار والتغير المستمر للعلوم التجريبية.

٥. الثقة والتأكد من أن الطريق الوحيد للوصول إلى كل الحقائق وحل جميع المشاكل وجميع آلام البشرية هو العلم التجريبي.

٦. التعلم في حد ذاته يمكن أن يكون مصدراً لتحديات أخرى؛ على سبيل المثال:

- قبول فرضيات المعرفة التجريبية غير المؤكدة وفرضها على ظاهر القرآن الكريم والانشغال في التفسير بالرأي.
- اعتبار وجهات النظر ومنجزات المعرفة البشرية على أنها ثابتة، رغم أن نتائجها

في حالة تجدد.

- التفسير الجاهلي.
- الارتعاب من الفرضيات العلمية.

٧. قبول الخبر المفرد في تفسير آيات القرآن الكريم.

٨. إن تَوَهّمَ الصراع بين العلم والدين، جعل التفسيرَ الصحيحَ والمقبول للآيات العلمية أمراً مستحيلاً.

ولكي يحصل المؤلف، في هذا المقال، على أجوبة أسئلته قام بدراسة بعضَ هذه التحديات.

وبما أنه لا يوجد إجماع بين كبارالباحثين فيما يتعلق بتفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم، لذلك بعد اكتشاف بعض مشكلات طريقة التفسير هذه، يمكن اعتبار السبب والدافع الرئيسي لحلها، القضاء على هذه التحديات والمشاكل. ولذلك كان لا بد للكاتب من تقييم هذه المسألة من وجهة نظر هذاالمفسر الذي يمكن أن يكون باباً لخطاب الآراء المطروحة في هذا المجال؛ ليكون الدعم العلمي اللازم لمواصلة مسيرة هذا الأسلوب التفسيري والتسبب في توحيد وجهات النظر. تم تجميع هذه المقالة بطريقة وصفية وتحليلية للبيانات.

سؤال البحث:-

السؤال الأهم في هذا المقال، والذي كان الدافع الرئيس الذي حَفَّزَ الباحث على كتابة هذه المقالة هو: ما هي القضايا والإشكاليات في طريق التفسير العلمي للقرآن حسب رأي آية الله جوادي آملي؟ وما الذي يجب فعله لحلّ هذه المعضلات؟

خلفيات البحث:-

رغم وجود العديد من المؤلفات المكتوبة حول طريقة التفسير العلمي والإعجاز العلمي؛ لكن فيما يتعلق بموضوع المقال، بحسب وجهة نظر مُفسر "تسنيم"، لم يتم العثور على عمل مكتوب بشكل مستقل. تتناول كتب مثل "مقدمة في التفسير العلمي للقرآن" و"البحث في الإعجاز العلمي للقرآن" لـ محمد علي رضائي أصفهاني. إلا أنه لم يتطرق إلى

تحديات التفسير العلمي من وجهة نظر جوادي آملي. وكذلك كتاب "تدفق التأويل العلمي" لشادي النفيسي، لا توجد فيه أيّ دراسة أو نقد حول آراء الشيخ جوادي آملي. كما أن هناك مؤلفات أخرى كتبت باللغة العربية، لم يتطرق مؤلفوها لموضوع هذا البحث، إلا أنه جاء في مقال بعنوان "نقد واستعراض صحة التفسير العلمي المعاصر انطلاقا من مكانة العقل والعلم في "فكر آية الله جوادي أملي" للسيد علي فتح اللهي و زملائه يشير إلى جزء من موضوع هذا المقال، والنقطة الأساسية فيه هي إبداء الرأي العام لآية الله جوادي آملي، ومحوره يدور حول أصول التفسير العلمي و رفض وقبول الإعجاز العلمي؛ وهو يرفض هذا الأسلوب، ولا يرى التفسير العلمي للآيات إلا من أجل التوفيق بين العلم والدين. في حين أنه لا يرفض التفسير المنهجي للآيات العلمية، وإنما يوافق عليه بشرط فهم مسبق وشروط صحيحة؛ وله نظرة أعمق للفلسفة الوجودية حول الآيات العلمية في القرآن، وأن هدف الهداية الإنسانية مُستترٌ في قاموس شمولية القرآن الكريم، وبالتالي فإن العديدَ من المواضيع، ذات احتياجات إنسانية علمية وعملية مذكورة في كتاب الله. وإنّ ما يرفضه هو التوفيق بين العلوم الإلحادية والعلوم الدينية، وليس كل العلوم. وكما أن آية الله جوادي يصدق مختلف معجزات القرآن الكريم، فإنه يؤيد الإعجازه العلمي للقرآن أيضا. (جوادي الآملي، ٢٠١٣/٥/٢٠٤).

المفاهيم:ـ

١) "العلم"، إنَّ هذه الكلمة تعني في معناها اللغوي المعرفة واليقين وإدراك الشيء بحقيقته. (بابائي: ٢/١٦٨، ٢٠١٦)، "العثور على حقيقة الشيء" (الراغب ١٤١٢هـ). /٥٨٠)، "الوجود والمحيط" (مصطفوي ٢٠٦/٨/١٣٦٠) له أيضًا معنى اصطلاحي؛ وقد أعطى كل فرع من فروع العلم تعريفا محددا له. ومن جملة ما يقال في المنطق: «العلم هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل» (المطهري، الآثار الكاملة، ٥، ٥٢). ويُعرِّف آية الله مصباح اليزدي العلمَ بأنه اعتقاد يقيني مطابق للواقع ضد الجهل البسيط، ومجموعة من النظريات الشخصية والخاصة، ومجموعة من النظريات العامة المبنية على محور معين، ونظريات عامة صحيحة غير تعاقدية، ومجموعة من النظريات الصحيحة التي يمكن إثباتها من خلال التجربة الحسية (مصباح: ١٣٧٠،

٦٣/١). وما نريد التحدث عنه في هذا المقال هوالعلم بمعناه الأحدث، أي ما يمكن إدراكه بالحواس البشرية ويوضع في طور التجربة والخطأ.

٢) "التفسير"في اللغة:الشرح، والبيان، والكشف : قال الراغب: "الفَسْر" و"السَفْر" يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لما جعل "الفسر" لإظهارالمعنى المعقول، وجعل "السفر" لإبرازالأعيان للأبصار، فقيل سَفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبحُ.(الراغب، ١٤٣٠ق، ٣١٧). وإن كان هناك اختلاف ظاهر بين المعجميين والمفسرين من حيث اشتقاق هذه اللفظة، إلا أنها قريبة من المعنى، وقد اعتبر أكثرهم أن أصل هذه اللفظة من "فسر" بمعنى الإبانة وكشف المغطى، ولإزالة القناع من الوجه، وللإضاءة، وإزالة الحجاب ونحو ذلك؛ وفي الاصطلاح: «كلُّ شيء يعرف بتأويل الشيء» (الفراهيدي، ١٤١٠، ٧، ٢٤٨). و كشف المشكلة اللفظية، وتعبير المضمون (الطبرسي: ١٣٩٥هـ، ١، ١٣)، بيان معاني آيات القرآن الكريم وكشف مقاصدها ومداليلها (الطباطبائي ١٤١٤، ٤، ١)، بيان وكشف النقاب عن معاني الألفاظ (جوادي آملي: ٢٠١٣، ١، ٣٠). ولذلك، نحن في هذا البحث نُسمّي كلَّ شيءٍ يزيل القناع عن وجه الكلمات، ويُبينُ غموضَها ويكشف معناها، تفسيرا.

٣) العلمي: بحسب تعريف العلم، تعني هذه الكلمة فهم الشيء عن طريق الحس والتجربة؛ والمقصود هنا ربط الآيات الوجودية بالاكتشافات العلمية الإنسانية. "إن التفسيرالعلمي - إذا ما كان يتم بطريقة علمية أو توجه علمي - يسعى المفسرأن يربط بين آيات القرآن و المواضيع التي ترتبط بالعلوم و ما توصلت اليه هذه العلوم من نتائج من جهة أخرى- يقوم المفسربشرح معاني الآيات القرآنية و توضيح المعنى الضمني أو من خلال الحصول على الخطاب القرآني الذي يتعلق بهذه العلوم واثبات الإنجازات العلمية لبعض الآيات القرآنية. (الرستمي: المدخل إلى التفسير العلمي للقرآن/١٦).

٤) التفسير العلمي: بحسب مامضى، فإن"التفسير العلمي في الإصطلاح هو" شرح وكشف معنى مجموعة من آيات القرآن الكريم على أساس قواعد العلوم التجريبية.(بابائي، ١٣٩٦، ١٦٩، ٢). على الرغم من استخدامه مطلقًا، لا يسند إلى

وصف أو ظرف، ولا يتبع المعنى المطلق، وينتمي حصراً إلى نتائج العلوم التجريبية والحسية؛ وإلا فإن تقسيم التفاسير إلى أدبية وصوفية واجتهادية ونحوها يعتبر أيضًا جزءاً من التفسيرات العلمية. وينبغي القول إن بعض العلماء ينظرون إلى التفسير العلمي بثلاث طرق: الأول: تطبيق العلم وتوظيفه في فهم القرآن، والثاني: فَرض المحتوى العلمي على القرآن، والثالث: استخلاص العلم من القرآن؛ (رفيعي، ١٤٥، ١، ١٣٧٩). و هنا يجب القول، فيما عدا الحالة الأولى، فإن الحالات الأخرى تؤدي إلى التفسير بالرأي، وهي باطلة في الأصل؛ وبحسب آراء بعض الأخصائيين، فإن الحالة الأولى هي الأفضل والأصح للتفسير العلمي.(رضائي: ٢٠١٨، ٢، ٢٤).

تحديات التفسير العلمي من وجهة نظر آية الله جوادي آملي

يرى آية الله جوادي آملي ان أهم المشاكل التي تعترض طريق الباحثين في مجال تفسير آيات القرآن الكريم، بشكل عام والآيات العلمية بشكل خاص، هي كما يلي:

١- ضعف وقصور المبادئ والأسس والفرضيات في قضايا العلوم التجريبية.

في بعض الأحيان تختلف الرؤية التأويلية في فهم رموز النصوص الدينية، مثلاً القرآن الكريم، من مفسر إلى آخر . لهذا السبب قد يأتي بعض المفسرين والشراح عدة معانٍ مختلفة لنص واحد ؛ ولأن رسالة كل نص تدخل في الجهازالادراكي للأفراد وفقًا لمبادئهم ومسلماتهم، فإن تلك المحتويات تدخل فيها وتعرض إلى المخاطبين بنفس تلك الطريقة؛ ولذلك قد لا يكون هناك رأي واحد يظهر الواقع كما هوعليه. وهكذا هو الحال بالنسبة للمفسر الذي يريد أن يفهم آيات القرآن الكريم بشكل أعمق، فهو يتجه إلى تفسير القرآن الكريم مستعيناً بمعارفه ومبادئه[٢] المسبقة. على سبيل المثال قبول مبدأ العلية أوالسببية، ووجود النظام في عالم الخلق، ونحو ذلك؛ وبدون الاهتمام بهذه المعارف السابقة، لن يكون من الممكن تفسير الآيات وتحليلها وفهم المفاهيم والمعاني الحقيقية للآيات بشكل صحيح. فإن رأى المفسر أن الأدلة العلمية تتوافق مع الأدلة النقليّة في جميع الأحوال، فإنه لا يسلم من تعارض بعض المسائل بين الأدلة العلمية والنقليّة.

ومن هنا، فإن الشيخ جوادي آملي، وبحسب نوع المبادئ والفرضيات، يقسم العلماء إلى فئتين، مُصيب ومُخطئ، وإصابة أو خطأ كل واحد منهما يخضع إلى المبادئ والأسس

العلمية التي اختارها؛ ولذلك ينبغي للمخطئين أن يتجنبوا تفسير الآيات الإلهية.

ويضيف قائلا: "إن الذين يستخدمون العلم وسيلة للوصول إلى الواقع، تارة يطأون طريقه، وتارة يخرجون عن حدود العلم ومعاييره ويحرمون من الوصول إلى الواقع فيقعون في الأخطاء والأغلاط، ولذلك فإن بعض الناس الذين يسعون إلى الحياة العلمية، يصلون إلى هدفهم، والبعض الآخر ينحرف عن المسار العلمي ويخطئ.... إن نظرية المعرفة لا تحدد أبدًا من هو المصيب و من هوالمخطئ في العلوم السابقة، وتحديد أي علم مُسبق يرتبط بمبادئ وأسس ذلك العلم نفسه.(جوادي آملي، ١٣٨٤، ١، ١، ١٠٦ بيان أدلة إثبات الخالق).

وقد أصبح واضحاً أن بعض الإشكاليات في طريق التفسير يمكن أن تعود إلى أصول وأسس وتصورات مسبقة للمفسر والخبير؛ فإذا تَمَّ تفسير القرآن وفق القوانين والقواعد والمبادئ وفي الإطار الصحيح لاكتشاف الحقيقة، فإنه بالتأكيد سيكون أقرب إلى الصواب والوصول إلى غاية المتكلم، وإذا تمَّ ذلك خارج هذه الشروط، فمن الطبيعي ألا يفهم الواقع وقصده الحقيقي. وباختصار، فإن إهمال أيٍ من المبادئ الصحيحة والضرورية لفهم الآيات الإلهية يمكن أن يكون مصدر مشاكل وتحديات أخرى في مجال التفسير.

٢- محدودية العلوم التجريبية في فهم الآيات العلمية للقرآن الكريم

من المشاكل المتعلقة بمجال العلوم التجريبية أنها مقيدة بحدود الزمان والمكان والأسباب المادية، وذلك لأن أدواتها تقتصر على الحس والتجربة وهي موجودة في عالم الأسباب المادية وهي في حالة نمو وتتطور، لذلك تقبل التعديلات؛ ومن هذا المنطلق اعتبر القرآن الكريم دائرة المعرفة البشرية ضئيلة: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء، ١٧، ٨٥. فمن ناحية، يعترف العديد من المفكرين بأن علوم البشر في جميع الفروع والإختصاصات لم تحصل على أجوبة مجهولاتها التي لا تُعد ولا تُحصى إلا شيئاًجزئيا، ولا يمكن مقارنة اكتشافات العلوم البشرية بما لم يتم اكتشافه؛ ومن ناحية أخرى، عدم استقرار وثبات العلوم البشرية وتقلّبها، و الكثير منها يقتصر على الفرضيات والنظريات، وهذه تشكل معظلة كبيرة في طريق العلم.

إن المعرفة التجريبية ذات النظرة الوضعية ليست أداة مناسبة للنظرة العالمية لتلقي

الأحكام المطلقة والشمولية. أي أن حكم المعرفة التجريبية والحسية لا يشمل البيئة الخارقة للطبيعة ويتحدد ببيئتها التجريبية الخاصة. ومع هذا الاتجاه التفسيري، تضيع أقوى أسس المعرفة (البديهيات العقلانية، وما إلى ذلك) لمعرفة الحقيقة؛ ولهذا السبب، يُعد الإدراك الحسي والتجريبي من أضعف المعارف وأكثرها تضعضعاً ، وأكثر عرضة للخطأ من أي نوع آخر من الإدراك.

ومن هذا المنطلق يرى سماحة آية الله جوادي آملي أن العلم التجريبي، بسبب محدوديته و محاصرته من جانب أدوات الاختبار، فإنه لا ينمو ويتطور إلا في المجال الصوري، لكنه غير قادر على تلقي سبب الفعل وغايته وإنّما يحتاج إلى علوم أخرى. (جوادي آملي ٢٠١٣، تفسيرتسنيم ٢٩/ ١٠٥).

بعبارة أُخرى إنَّ أحدَ أسباب فشل العلم التجريبي هو عدم قدرته على تلقي النظرة الصحيحة للعالم. إن العلم التجريبي لا يستطيع بمفرده فهم قانون النظام في الطبيعة. لأن هذا العلم له حركة أفقية ولا يعرف الحركة العمودية.

إن العلم التجريبي لايستطيع أن يقول شيئا سوى:ما هي الظاهرة الموجودة في الكون؟، وما هي عناصرها؟؛ ما هي كيفيتها وماذا سوف تصبح؟ لكنه لا يجيب أبدًا على: من أين أتت؟، ولماذا أتت؟، وماذا سيكون مصيرها؟. ولذلك فقد أعلن القرآن الكريم أن نطاق أجهزة الإدراك البشري ضئيل أو محدود، لذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:(٨٥/١٧) ومن الواضح أن هذا القصور في العلوم التجريبية سيشكل تحديًا خطيرًا لتقديم تفسير صحيح ودقيق لآيات القرآن العلمية. (جوادي آملي ٢٠١٦ ، ٢٠/ ٤٧٠).

كما توجد زاوية أخرى لهذا التحدي، وهي أن بعض الخبراء والمفسرين ليس لديهم المعرفة المتخصصة اللازمة للآيات الوجودية للقرآن؛ ومن خلال جزء صغير من المعلومات العامة يحاولون تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم. ومما لا شك فيه أن المفسر الذي يريد تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم، يجب أن تكون لديه المعرفة اللازمة في كل حالة من حالات الظواهر الطبيعية مثل معرفة الأجرام السماوية والنجوم الجديدة، ومسافات بعضها عن بعض ومدارات علم الفلك والعلوم البيولوجية للكائنات والعلوم الطبية والفيزياء وعشرات المعلومات الضرورية الأخرى؛ حتى يستطيع بيان القضايا بشكل واضح ودقيق.

على سبيل المثال، بحسب نظرية بطلميوس، فإن مسألة الكواكب التسعة، التي ظلت تناقش منذ مئات السنين، كانت تعتبر أمرا طبيعيا؛ ولم تقابل السموات السبع في القرآن، فقد حولها بعض المفسرين إلى تسع بإضافة "العرش" و"الكرسي" واعتبروها موافقة لرأي تلك الهيئة، حتى لا تتخلف عن الركب. العلوم الفلكية الغربية وإعلان عدم وجود تعارض بين العلوم وتلاوة القرآن. وهذا يدل على قلة معلومات المفسر ونقصانها في هذه الزاوية.

٣. حاجة العلوم البشرية إلى المعرفة المجردة لإثبات نتائجها.

ينبغي للمفسرالذي يريد استخدام العلم في تفسيره، أن يعرف هل هذا العلم يتوافق مع كلام الله أم لا؟ وهل تحقيق ذلك الإنجاز مؤكد أم غير مؤكد؟ وهل يتوافق مع الحقائق الدينية أم لا؟ وهل يتطابق مع قواعد وتقنيات التفسير أم لا؟

ومن الواضح أن الاعتراف بهذه الأمور ليس من عمل الحواس، بل من عمل القوى المجردة، بحيث لا يمكن الإجابة على أي من الأسئلة المذكورة بالاعتماد على الحواس الخارجية دون دليل عقلي. ولا شك أن وسائل الفهم واستيعاب العلوم الوجودية الموجودة في القرآن الكريم، إلى جانب وسائل الإدراك الحسي، هي علوم خارقة للطبيعة وعقلية؛ فمثلاً إذا أثبت العلم أن الأرض تدور حول محورها، فلا يمكن قبول هذه الحقيقة العلمية وإثباتها دون استخدام أدوات العقل.

وعن ضرورة العقل والتفكير لفهم العلوم التجريبية، يروي لنا الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد عن هشام بن الحكم أن أبا شاكر قال للإمام الصادق عليه السلام: أنت تعلمُ أننا لانقبلُ إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو شممناه بأُنوفنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو لمسناه ببشرتنا. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليلٍ، كما لا تُقطَع الظلمة بغير مصباح. يريد بذلك عليه السلام أن الحواس الخمس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات. (ابن بابويه:١٣٩٨ق، ١، ٢٩٣). إن هذه الرواية تشير إلى حاجة المعرفة التجريبية إلى العلوم المجردة والبصيرة البديهية. والنتيجة لايمكن الوصول إلى اكتشاف قلل الحقائق العلمية وتحقيق عظمة العلم والمعرفة التجريبية من دون توظيف العقل.

إنَّ آية الله جوادي آملي لاينكرضرورة وجود العلوم التجريبية ويعتبرها نتاج حواس مسلحة وغير مسلحة، ويرى أن تأثيرها الإيجابي وإزالة نواقصها يكمن في أن تقاس بمقاييس

العلوم المجردة. وبدون هذا الميزان لايمكن الوثوق في اكتشافات و نتائج العلم التجريبي. ولكي تحافظ العلوم التجريبية على ديموميتها وبقائها، فهي بحاجة إلى العلوم المجردة. "إن سر الحاجة إلى المعرفة التجريبية للعلم المجرد هو أن عالم الشعور والتجربة المادية هودائرة السهو والغفلة، وهو ما يفسر على أنه "النوم"، ومثل هذا الحلم الذي يحتضن خصوصية الشعور، له الكثير المخاطر المقبلة، لأنه بالنوم تتوقف قوة الشعور، وينغلق أي نوع من الفكر والإدراك الحسي، وينقطع الاتصال بالماضي، وأهم عامل منيع من لسعة النوم، والإهمال والنسيان هو العقل البرهاني، وهو بمثابة «اليقظه» مقارنة بـ «النوم». (جوادي آملي: ٢٠١٥، ٣، ص ٨١ و ٨٢).

كما أنه يعرض فكراً جديداً للتفكير حول مكانة العلوم التجريبية في ميزان تقييم العلوم. ومن نقاط الضعف في هذه العلوم، وضع اسم الطبيعة بدلاً من الخلق، والمسار الأفقي للعلوم التجريبية، وهو إزالة العلة الغائية والفاعل من عالم الخلق (بدايته ونهايته) واعتبار حركة العلم متأصلة في نموه وتطوره. (تفسير تسنيم، ١٣٩٦، ٧٩، ٤٤) هو يرى أن السبيل للاستفادة الذكية من هذه العلوم هوتغيير نظرة الإنسان اتجاه تلك العلوم يؤمن بها من خلال مراعاة مبادئ وأطر معينة، مثل الإيمان بعدم تسلل البطلان في القرآن الكريم، وإعادة الطبيعة إلى الخلق، والاهتمام العميق و بالأسباب والعلة الفاعلة والغائية، بالإضافة إلى الأسباب الداخلية، والاعتماد على العلوم المجردة والعلل العقلانية، رؤية شاملة وموحدة لآيات القرآن الكريم. بالإضافة إلى الاهتمام بالتقسيمات الموضوعية والأساليب، ينبغي أيضًا الاهتمام بالتقسيم من حيث المعلم والتخلص من المنطق القاروني. (حالة الفكر في الهندسة والمعرفة الدينية: ١٣٨٩، ١٤١، ١٤٢).

٤. إثبات الحس والتجربة الإدراكية كمعيار لنظرية المعرفة في العلوم التجريبية

من الواضح أن الإحساس واحد من العطايا الإلهية الهامة للموجودات الحية؛ غير أن بعض الكائنات البشرية لاتستغله كما ينبغي.كما هو الحال في بني إسرائيل و ثمود، وقد شَنَّعَ القرآن ذلك و شجبه. ومن المعضلات والمشكلات المتعلقة بالتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم هي فكرة الظن بأن التجربة بالوسائل ودركها بالحواس، هي الوحيدة للفهم. بمعنى آخر، يرى بعض الخبراء أن الآيات العلمية لا يمكن فهمها إلا من خلال الأدوات المادية؛ ولا

حاجة لأدوات المعرفة الأخرى كالفلسفة والكلام والمعرفة المجردة والعلوم العقلية. صحيح أن طريقة تلقي بعض المعارف الدينية والقرآنية تتم عن طريق التجربة والحواس، لكن الحقيقة أن معظمها خارج نطاق المعرفة التجريبية. ومن الواضح أن كثيراً من هذه الأشياء الطبيعية والمادية هي خارج نطاق علوم البشر مثل عرض السماء وأعماقها. فكيف بتعاليم القرآن الكثيرة التي لا تدخل أبداً في حدود المعرفة الإنسانية؟ يضيف الشيخ جوادي الاملي قائلا: "المعرفة التجريبية قادرة على التعليق على المسار الذي كان متاحا للملاحظته واختباره؛ ولكن في الطرق الأخرى، ولاسيّما المسار غير التجريبي، الذي هو في الأساس بعيد عن متناول الحس والتجربة، فإنه لا يستطيع أن يقول أي شيء ولا يمكنه أن يفوه بلغة الإنكار." (جوادي آملي ١٣٨٩، كرامة العقل). في هندسة المعرفة الدينية ١٢١/١).

لقد رَوَّجَ، في الآونة الأخيرة، بعضُ الخبراء والمفكرين المسلمين هذه الفكرة التي تزعم، أن الطريقة الوحيدة لاكتساب المعرفة، هي من خلال الحس والتجربة فقط، ولا يمكن للإنسان أن يحصل على معرفة الله إلا من خلال دراسة عالم الكون[٣]. ولكن، قبل كل شيئ يجب أن نعلم بأن جميع المعارف البشرية لاتتأتى عن طريق الحس والتجربة فقط؛ وثانياً، إن الأمورالحسية والتجارب والمُشاهدات لن تصبح أبداً مصدراً علمياً دون الاعتماد على المبادئ العقلانية.قال -تعالى- في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]. ومن حيث التعبير فهي وسيلة للمعرفة، أي أن الحواس والفهم ضميري وفكري في آن واحد؛ وليس أحدهما دون الآخر. لذلك، لفهم الطبقات العميقة لمقاصد وأسباب الآيات الإلهية، إلى جانب أدوات الحس والتجربة، لا بد من الاعتماد على المعرفة والطرق المجردة مثل الطريقة الفكرية والحدسية والقلبية والإعجازية، حتّى يتجنَّبَ المفسرُ، سوءَ الفهم و التفسيرالخاطئ للقرآن.

ومعرفة الأشياء المعنوية كالملائكة والجن، وحتى الأشياء المحسوسة كالسماوات السبع ونحوها، خارجة عن نطاق العلوم التجريبية؛ وبعبارة أخرى، فإن معيار المعرفة في العلوم التجريبية، وهو الحس والتجربة، غير قادر على فهم حقيقة هذه الأمور الخارقة للطبيعة. آيات الله جوادي ويقول الشيخ جوادي آملي بطريقة أخرى: "إن معيار المعرفة في العلم التجريبي هو الحس والتجربة؛ لكن معايير نظرية المعرفة لا تقتصر على الحس والتجربة، بل

إن الحس والتجربة ركن من أركان نظرية المعرفة وجانبها الضعيف الذي لا يستخدم إلا في العلوم الطبيعية. (راجع جوادي ١٣٩٦، تسنيم ٥٩٩/٤٤) لذلك، أولاً وقبل كل شيء، فإن طريقة فهم الآيات الإلهية في القرآن ليست بالحواس والتجربة فقط؛ ثانيًا، إن الوعي الإنساني بعالم الخلق لا يقتصر على المعرفة الحسية والتجريبية، ثالثًا، لن يتمكن الحس والتجربة من إنتاج وتوسيع أبعاد العلم المختلفة دون سبب؛ ورابعًا، الطرق المعرفية ليست حسية وتجريبية فقط؛ بل إن العلوم الرياضية البرهانية والفلسفة واللاهوت والتصوف، وقبل كل شيء الوحي والإلهام الإلهي، هي من أهم طرق المعرفة.

على الرغم من أن التحدي الذي تمت مناقشته يبدو إلى حد ما مثل التحدي السابق، إلا أن هناك فرقًا ملحوظًا بينهما وهو ان مناقشة حاجة العلوم التجريبية إلى العلوم المجردة هي في الواقع رد على أولئك الذين يسعون إلى اكتشاف معنى الكلمات أوعالم الغيب بمجرد الاعتماد على أدوات المعنى، الذين ينتهي بهم الأمر في الواقع إلى تفسيرات غير صحيحة وغير كافية للنص أو الكلمات، وهذه لها آثار ومخاطر سيئة على جمهورها، لكن المسألة هنا هي أن الحاسة والخبرة ليست فقط غير كافية لفهم معنى عالم الغيب، بل ستكون أيضاً غير ناجحة عملياً وعاجزة في كثير من الأمور غير الملموسة، أمثال: النفس والكائنات الفردية كالملائكة وغيرها من الأمور الخارقة للطبيعة. وحتى وظيفة الحواس الظاهرة في بعض الأمور المادية ليس لديها ما تقوله إلا تبرير عجزها بافتراضات لا أساس لها من الصحة. لذلك لا بد للإنسان الحسي والمادي أن يستخدم المعرفة والطرق المجردة كالطريقة الفكرية والحدسية والقلبية، والطريقة الإعجازية، بالإضافة إلى أدوات الحس والتجربة، حتّى يتسنى له الأمرليفهم معاني المفردات والنصوص.

٥-العلموية

حينما بلغت حضارة أوروبا الذروة في تطورها أصبح العلمُ يحظى بإطراء كبير، واكتسب العلماء مكانة خاصة؛ على سبيل المثال، صار" نيوتن"يُنْظَرُ إليه كرمزٍ لأعظم إنسان؛ وفي العصر الحاضر، وصل الأمر إلى أن يعتبر العلم هو الحل الوحيد والموثوق به لحل جميع المشاكل، كما أنه الدليل المعتمد عليه لبلوغ منتهى الحقيقة. (جون، اف، هات النجفي: ٤٢/١٣٨٢) أو الحل لمشكلة ما. كل آلام الإنسان والطريق الوحيد هو أن نتعلم الوصول إلى

الواقع؛ وهذا الاتجاه يسمى العلموية أو علموية. إن العلم الذي تتم مناقشته في العلموية هو المعرفة التجريبية، وليس العلم المطلق. إن فكرة العلموية هي ولادة التجريبية الغربية التي تعتقد أن ما يمكن تجربته بشكل معقول هو الصواب وهو الصحيح؛ وما ليس له هذه الميزة فهو باطل.

إن تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم وفقا للعلموية، وانتساب المسائل العلمية والتجريبية إلى الكتاب الإلهي وفرضها على آياته؛ بمعنى آخر، أن يقوم البعض باستخراج بعض الآيات العلمية المؤيدة والمتعلقة بمشكلة تجريبية من القرآن الكريم وتأويل الآيات المخالفة لها، وهو ما لن يكون له أي نتيجة سوى التفسير بالرأي. أما إذا كانت الآيات العلمية للقرآن متوافقة مع النتائج القطعية للعلوم التجريبية، فيمكن تفسيرها علمياً على أنها مسألة علمية، وإذا كانت ظاهر الآيات متوافقة ظاهرياً مع العلوم التجريبيةالحدسية، فلا يمكن تفسيرها علمياً. ولايتم تفسيرها إلاعلى أنها مسألة احتمالية. « إن فرض القضايا العلمية على القرآن، واسنادالمسائل العلمية والتجريبية إلى الكتاب المقدس، نوع من العلموية وغير صحيح...» (جوادي آملي ٢٠١٣، تفسيرتسنيم ٢٩/١٥٤).

ومن الخصائص المهمة للعلموية أن بعض الناس يعتبرون مجال العلم والدين منفصلين عن بعضهما البعض ويعتقدون أن العلوم التجريبية أو الطبيعية لا ترتبط إلا بالعقل البشري ولا داعي للخطابات الدينية حول كيفية تناول هذه العلوم، ولامكان للدين في معرفة الطبيعة؛ وفي مثل هذه الحالة يتسبب العلم في ابتعاد العلوم الطبيعية عن الحكمة والقيم الأخلاقية. (كلشاني ١٣٩٠/٧/١)

بناء على أفكار آية الله جوادي آملي، يمكن أن يكون للعلموية تأثيرات أخرى، وأهمها ما يلي:

١-٥- قبول فرضيات المعرفة التجريبية غير المؤكدة وفرضها على ظاهر آيات القرآن الكريم

إنَّ العلوم التجريبية، وبسبب محدودية أساليبها، فهي لا تستطيع أبدًا تمثيل الحقائق بشكل كامل، وعلى الرغم من أن الآراء العلمية تكون في شكل قوانين، إلا أنها تخضع دائمًا للتغيير والتحويل أو التعديل والإكمال؛ وبهذا المعنى، لا يمكن أبدًا إثبات النظريات

العلمية بيقين قاطع؛ ولذلك، فهو دائما مفتوح للاحتمال. كما أن الأسباب المنقولة غير المؤكدة لا يمكن أبداً فرضها على بعض نتائج العلوم التجريبية والحسية. "إن الفرضيات غير المؤكدة للمعرفة التجريبية ليس لها أيضًا رسالة أخرى غير الاحتمالية؛ وبعبارة أخرى، لا يمكن فرض مضمون دليل نقلي غير مؤكد على مسلمات العلم التجريبي، كما لا يمكن تحميل فرضيات العلوم التجريبية غير المؤكدة على ظاهر القرآن والرواية." (جوادي آملي ١٣٩٠). (التسنيم ٦٢٧/٢). إن شرط الإستفادة من القرآن هو ترك الفرضيات والمبادئ التي وضعها الإنسان جانبا، أي عدم فرض الرأي على القرآن، ولا ينبغي للمفسر أن يجعل القرآن محدوداً على ماتوصل إليه هوفقط. (جوادي الآملي ١٣٩٠، تفسير التسنيم ٦٠/١).

إن النتائج العلمية التي تعتمد على فرضيات غير ثابتة وتعميمات محتملة، لا يمكنها تفسير القرآن بالأدوات الفكرية والافتراضات غير المؤكدة، لذلك لايُوثَقُ بها. من هذا المنطلق لا يمكن تطبيق الوحي الإلهي على فرضيات هشة، وإنما ينبغي إثارة البرهان العقلاني تحت رعاية الوحي الله. ولذلك لا بد من تجنب تفسير الآيات الإلهية وفق فرضيات غير ثابتة وغير مؤكدة. جوادي آملي ٢٠١٦ ، رحيق مختوم ٤٢/٢ - ١٣٨٦ المصدر أنديشة ١/ ٤٥٦ - ١٣٨١ سروش الهداية ٢٦٢/١.

ولم يستخدم آية الله جوادي الآملي أي فرضية غير مثبتة أو تخمينية في تفسيره للآيات القرآنية، ولم يعتبر التقدم العلمي أبدا دليلا على صحة تلك الفرضيات العلمية غير المثبتة، وكان دائما يرى خطورة تغيير تلك الفرضية إلى فرضية أخرى. وما لم تصل هذه الفرضيات إلى مستوى الحجة العقلانية الكاملة، ففي مثل هذه الحالة، يكون لها أهلية النسبية لتفضيل بعض احتمالات تفسير الآية. فهو يرى أن الفرضيات العلمية مالم تصل إلى حد اليقين والبرهان العقلي، فهي ليست علماً مصطلحا ولاحجة شرعية ولا سندا دينياً. الدليل على تفسيره للآية ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾. "الرعد/٢". فهو يفسر ارتفاع السماء بأمر الله ومشيئته لا بالجاذبية العامة للأرض، يرى الشيخ جوادي أننا إذا سلمنا بأن الجاذبية هي سبب ارتفاع السماوات، يجب أن نقول إن نفس الجاذبية تحتاج إلى قوة أخرى لتحافظ عليها، وإذا كانت قوة الجاذبية في السماوات والأرض متبادلة التجاذب، فإن هذه العملية لاتنطبق على خارج هذه المجموعة، لأن خارجها شيء آخر، لا تحكمه هذه القاعدة ،

واستقامة جميع هذه المجموعة تحت أمره. (تفسيرالتسنيم: ٢٠١٦/٥١/٤٢) خلافاً لبعض كبار المفسرين الذين يرون:أن للسماء أعمدة، غير أن هذه الأعمدة لايمكن رؤيتها.تفسيرالأنموذج، ج١٠، ص١٠٩).

وتنطلق وجهة نظر المؤلف من أن تطبيق الآيات على نتائج ونظريات العلوم التجريبية غير الثابتة، قد لا تصبُّ في مصلحة الحقائق القرآنية وربّما تسبب صراعاً ومواجهة خيالية بين أدلة العلم والدين وتفتح الطريق إلى تفسيرات غير معقولة وتفسيرات غير مرغوب فيها.

٥-٢- إعطاء الحجّية المطلقة لآراء ومكتسبات العلوم البشرية

على الرغم من أن بعض المفكرين يعتقدون بصحة النتائج البشرية، إلا أن الاعتماد على النتائج المبنية على ظنيات العلوم التجريبية لا تستوجب تبعية شرعية، إلا اللهم إذا بلغت هذه النتائج العلمية والتجريبية حدَّ اليقين وأصبحت قطعية وموثوقة وقابلة للتصديق، ومدعومة ببراهين عقلية، عندئذ تصبح هذه الحالة صحيحة وحجة شرعية. يقول آية الله جوادي آملي حول عدم إلزامية جميع ما توصل إليه العلماء التجريبيون: "قد يُظَنُّ أن إنجازات العلماء التجريبيين والطبيعيين لا تتناسب مع الحجج المنطقية والأصولية، لأن النظريات العلمية لا تصل إلى حد اليقين، وليست من أنواع البرهانيات لتكون دليلا على صحة الأصول المنطقية واكتشاف الواقع... في حين أن النتائج التي توصل إليها علماء العلوم التجريبية تفتقر إلى الأدوات العملية؛ فمثلاً كون الأرض كروية أو تدور حول الشمس هو مجرد حقيقة ولا يتضمن سلوكاً وعملاً محدداً للمؤمنين والملتزمين بذلك في قضايا الشريعة والعلاقة بين الإنسان والخالق." المعرفة الدينية ١١٦/١) وبطبيعة الحال، فإن هذا النقص في الشرط العملي غير وارد في كثير من نظريات العلوم التجريبية؛ فمثلاً النتائج الطبية والعلاجية أو الإنجازات العلمية في مختلف الصناعات للمهندسين والحرفيين، إذا كانت تتجاوز مجرد الشك وتسبب اليقين، فلا بد من الاهتمام بها.

نعم، وإن كانت بعض النتائج في مجال العلوم التجريبية ليس لها حجة منطقية وأصولية، إلا أنها ليست سببا لعدم الالتزام بجميع نتائجها. بمعنى آخر، ليس الأمر أن منجزات العلوم التجريبية لا علاقة لها بأفعال المكلفين، أو أن النتائج العلمية ليس لها تفكير فقهي وقانوني؛ بل إن الكثير من اكتشافات العلوم التجريبية التي تجاوزت حد الظن وبلغت حد اليقين،

تستوجب المسؤولية الشرعية، وإنَّ الله-تعالى- سيعاقب الشخص العالم والعارف لهذه القضايا، في حال التقصير و الإهمال في تنفيذها.

٣-٥- التفسير الجاهلي

إذا كان المُفسّر لم يستوفِ الشروط اللازمة للتفسير، ولم يستخدم أمهات المصادر الأصلية و الموثوق بها، فإن نتائج ذلك العمل سيصبح تفسيرا جاهليا.

لقد اختارآية الله جوادي عنوان " التفسير الجاهلي " لمن يفسر القرآنَ الكريم وفقا لرأيه، ويحاول فرض معتقداته على هذا الكتاب المقدس. و كما هومعلوم فإنه لا يُوجَدُ تفسيرٌبهذا الإسم، والشيخ لا يريد القول بأن "التفسيرالجاهلي" أحد أنواع التفاسير. وإنّما أراد القول بأن التفسير بالرأي له أشكالٌ مختلفةٌ، أحدها التفسير الجاهلي.

إن منشأ التفسير الجاهلي هو الفكر المادي والحسي الذي كان حاكما على العصر الجاهلي. وقد يظهر هذا التفسير على أشكال مختلفة، في بعض الأحيان يُسْتَنتج موضوع من آية، ثم يُفْرَض ذلك الموضوع عليها، في حين أن ذلك المحتوى لا يتوافق مع البرهان العقلي، ولا فرقَ بين نوع المحتوى إن كان فلسفيا أو لاهوتيا، أو تجريبيا أو نقليا.وقد نهى القرآن الكريم عن القول من دون علم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦/١٧)؛ " وأحيانا يستفاد من الآية مضمون مبني على الأدلة المناسبة منها الفكرية والتجريبية والروايات الصحيحة؛ غيرأن المتكلم لا يأتي به دلائل محكمة؛ وفي هذه الحالة يكون استشهاد المفسر مبتنياعلى الاحتمال، لأن وثائق الأمر الجادة والمؤكدة عند المتكلم تكون مذمومة من جهة التأويل، والشكل الثالث من التأويل يجهل جدية إرادة المتكلم. اللاهوتي ووثائق الوصية الممكنة له؛ يعني أخذ مضمون من الآية يتوافق مع أسلوبها بحجة مناسبة، ولكن هناك دليل فكري أو روائي صحيح على أن المتكلم لم يقصد ذلك، بل مضمون آخر، فيما يتعلق بالآية المعنية؛ وفي هذه الحالة فإن التوثيق القطعي والمحتمل لذلك الأمر عند المتكلم، كالتفسيربالرأي سيكون مذموما، لأنه بإقامة الدليل العقلي والرواية الصحيحة عن عدم جدية المتكلم. ولا يمكن إثبات إرادة الأمر الآخر، واعتبارالأمر المذكور أحد المعاني المحتملة.إن هذه الأمور محرمة في القرآن[٥].

٤-٥- الإرتعاب من الفرضيات العلمية

مشكلة أخرى تواجه طريق التفسير العلمي، هي الإرتعاب أمام مواجهة الفرضيات العلمية، و وجود الاحتمالات وهو سبب التداخل في مقاصد وأسباب آيات القرآن الكريم وهو أحد مصاديق التفسير بالرأي.

إن آية الله جوادي املي ينتقد أداء بعض المختصين، عندما يتحدث عن كيفية تكاثر الجنس البشري وتعدد وجهات النظر، ويعرض الأسباب والأدلة (عقب تفسيره للآية الأولى من سورة النساء)، فيدحص أفكارهم و معتقداتهم الخاطئة و المتطرفة والمفرطة. وعلى سبيل المثال هنالك من المفسرين والمختصين الذين يدّعون أن نسل الانسان من آباء و أمهات عديدون، لا من أب واحد وأم واحدة؛ فيجيب سماحته بأن أدلة و براهين هؤلاء لا تخرج عن حدود الاحتمالات والتقديرات. لأنه لايوجد هناك دليل يثبت التعدد العنصري عند عتبة خلق الإنسان، ووفقاً لآيات القرآن الكريم وأحاديث المعصومين، فإن أصل البشرهم من آدم و حواء. "أمّا الإنسان الذي لا يمتلك قاعدة تفسيرية، فإنه يرتعب حينما يواجه الفرضيات العلمية، لدرجة أنه يتسارع بقول الإحتمالات قبل أن يتفوه العلم التجريبي بشيءٍ من فرضياته، و يختلق مبررات مختلفة، مُعتمداً على فرضيات ستلتحق عاجلا أو آجلا بأرشيف الوثائق المهملة والباطلة، ليسعى إلى تطبيقها على ظاهر القرآن. (جوادي آملي ، ١٣٨٨، تسنيم ١١٧/ ١٧).

لقد أصبح واضحاً أنه إذا تمَّ التعرف في العلوم التجريبيةعلى فرضيةٍ ما، و مع تقدّم العلم، ثبت صحتها، وعندها شاهد شخص آية تتعلق بعالم الطبيعة، حينها يمكن القول:ربّما قصد القرآن ذلك. ولكن لا يمكن القول بأن ما أشار إليه القرآن حصريا حول هذه القضية فقط، ومَن نسبَ إلى القرآن قولاً غيرذلك، فإن المستقبل القريب سيكشف خطأ مزاعمه الباطلة أمام الجميع، لأن القرآن الكريم غير قابل للإختراق، كما هوبعيد كل البعد عن الباطل[٦].

ولذلك لا يمكن قبول النتائج التجريبية إلا باعتبارها فرضيات، لا كأدلة نهائية و قطعية، ولا يمكن أبداً أن نفسر ظاهر الآيات القرآنية الوجودية بناءً على فرضيات غير مؤكدة ومشكوك فيها.

وأما خَلْقُ آدم، فإذا لم يُخلَق من تراب وطين، بل من سلالة بشر قبل الجيل الحالي من البشر أو القردة، فلا فائدة من ذكر السلالة بعد البشر. ولذلك فإن كلام القرآن الذي يشيرإلى أن آدم خُلِقَ من نوع من التراب، هو بلا شك صحيح. ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران/٥٩) والقرآن يصرح بوضوح أن الجنس البشري الموجود يعود إلى آدم وزوجته، ويسميه بني آدم.قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...﴾؛ (يس/٦٠) وهو لا يعتبرهم أكثر تطوراً من المخلوقات السابقة، وإنما هي مخلوقات مستقلة ليس لها أي سابقة؛ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ (البقرة/٣٨)، غير أنَّ مؤلِّف المنار يرى أن بداية خلقة البشر تنتهي إلى أن الإنسان من أب وأم، هو خطاب التوراة المحرَّف ولا يمكن قبوله.(تفسير المنار، ج ٤، ص ٢٦٣) وهنا سؤال : هل يجوزلمفسر القرآن المسلم أن يرتعب من آراء غير مؤكدة للآخرين، حتى أنه يطرح رأيا يُعارض فيها نصوص القرآن الواضحة؟!!

٦- قبول الخبر المفرد في تفسير الآيات القرآنية

إنَّ سبب قطعية المنقول ليس له ردٌّ سوى الاحتمال، ولذلك لا يمكن الحكم القطعي عليه. حول تحدي صحة الخبر المفرد وخاصة حول قضية حجية الخبر الظني الواحدة في التفسير هناك دائما اختلافات في الرأي بين علماء القرآن. وإجماعهم الوحيد ينحصر في صحة الخبر القطعي والموثوق بعبارة أخرى، في الأمور العلمية، إذا كان هناك خبر واحد مظنون فيه وغير مؤكَّد، فلا يمكن إصدار رأي قطعي بناءً على هذا الخبر الظني؛ بل ينبغي التعامل معه كإحتمال فقط. ولذلك، فإن الخبر الواحد الموثوق به، هو الوحيد الذي يحظى بالسند العلمي اللازم والضمان التنفيذي. ولا يمكن تقديم تفسير صحيح للآيات الإلهية من خلال الاستعانة بالأخبار الأحادية الظنية.

يقول آية الله جوادي الآملي في هذا الصدد: "إنَّ صحة الخبر المفرد ثقة يقينية، فهي مبتنية على تأييدالعقلاء وتوقيع الشرع، والحجة المبنية على الآية على حرمة العمل بالخبر المفرد غير مكتملة، لأن الخبر المفرد الثقة يعتمد على أسس علمية. (جوادي آملي ٢٠١٨، تسنيم ٦١٥/٤٨).

وفي تفسيره الروائي للآية ٢٩ من سورة البقرة، ينقل عن رواية الامام علي عليه السلام من

الخطبة ١، الفقرة ١٣ والخطبة ٢١١، الفقرة، ١: في أسبقية خلق كائنات العالَم، يذكر أن ما يستفاد من قول أمير المؤمنين -عليه السلام- هو أن خلق السماوات جاء بعد خلق الارض. وقد اعتبره صدر المتألهين مخالفاً للدليل العقلي والنقلي، لأن مضمون تلك الأدلة يشير إلى تقدّم خلق السماوات على الأرض. ثم يضيف أنه يحاول التبرير واعتبره الحل لهذه المعارضة، ورأى أن العلة الغائية سابقة من جهة ومتأخرة من جهة أخرى. فالسماوات تتقدم على الأرض في جهة، وتتخلف عنها في جهة اخرى، وقد حُمّلت الروايات والآيات المتضاربة في هذين الاتجاهين.

إنّ جواب آية الله جوادي في ما يختص بتبرير صدر المتألهين، يتطلب الدقّة والإهتمام، فهو يرى أنه لا يمكن أن يحكم في ذلك إلا من خلال نقل قطعي الدلالة، أو دليل تجريبي طبيعي أو رياضي مُثبَّت (وليس غيرها)؛ فالكبرى وإن كانت تامة (لأن العلة النهائية متقدمة من جهة ومتأخرة من جهة أخرى)، فإن صغرى الأمر، أي أن السماوات هي السبب الغائي للأرض، يحتاج إلى دليل وبرهان.(جوادي تسنيم، ج٢، ٦٢٦).

ويرى المؤلف أنَّ النصوصَ الدينية، بما فيها القرآن والسنة، حول الظواهر الطبيعية التي تُدرك على شكل ظن، تنسب إلى الدين بنفس القدر الذي ينسب إليه الظن والشبهة؛ وفي المسائل العلمية لا ينبغي مقارنة الآيات العلمية للقرآن بالاستعانة بمصادر الأدلة غير القاطعة، مثل أخبار فرضية واحدة، ففي هذه الحالة يكون التفسير مبنيا على الرأي أو فرض الرأي و ازدراء الدين. ولذلك فإن في طرق التفسير العلمي ما يقبله كبار المفسرين؛ أي استخدام النتائج العلمية في تفسير آيات القرآن الوجودية وموضوعات العلوم التجريبية يمكن ترتيب التطبيق في فهم الآيات الإلهية حسب مدى توافقها مع الواقع ويقينيتها، ويمكن أن ينسب إلى القرآن الكريم حسب صحتها ؛ أي أنه مهما كان الشيء مؤكداً وموافقاً للحقائق وموافقاً للمناقشات العلمية التي وردت في القرآن والإشارات القرآنية فإنه يمكن أن ينسب إلى القرآن بيقين أكبر، وإذا كان الأمر العلمي غير مؤكد وكان في مستوى الشك والظن، فلا يمكن نسبته إلى القرآن؛ أو الاستفادة منه.

الملخص والاستنتاج:-

إن مستندات هذا المقال تُظهر، أن آية الله جوادي آملي يرى أنه من الممكن أن يصبَّ

تفسير الآيات العلمية، في خدمة القرآن، إلى جانب التفاسير الأخرى، بشرط مراعاة قواعد وأصول التفسير الصحيح، في توجيه الإنسان إلى الهدف الأسمى وهو:الغاية من نزول القرآن الكريم، هداية الإنسان وسعادته. إلا أن الأساسيات والتصورات والقواعد والمبادئ التي يستخدمها آية الله جوادي آملي في تفسير هذا النوع من الآيات قد يكون فيه اختلاف جوهري مع ما يستخدمه المفسرون الآخرون في التفسير العلمي، لأن سماحته يرى أن العلم التجريبي وحده، غير قادر على تفسير الآيات الأنطولوجية للقرآن الكريم، فهو بالضرورة يحتاج إلى الأدوات المجردة كالتصورات الفكرية والإدراكات العقلية والفلسفية والرياضية وعلم العرفان. ومن وجهة أخرى فإنه يرى أن النظريات والفرضيات العلمية التي لم تصل إلى اليقين، تبقى قيمتها المعرفية ظنية، لا تعتبر مناسبة لتفسير وتحليل آيات القرآن الكريم، وإذا طُبِّقَت على الآيات القرآنية، فهذا العمل تفسيرٌ بالرأي، وباطلٌ من الأساس.

وحسبا لرأي سماحته فإن المعيار في فهم و تفسير الظواهر الطبيعية، هو بيان القرآن الكريم؛ وأما العلوم التجريبية فهي غير مؤهلة لتقوم بتفسير الآيات القرآنية بصورة مستقلة. كما أن فضيلته يميز بين العلوم المُثبَّتة علمياً من غيرها . ولذلك آية الله جوادي املي، وعلى الرغم من ادعاءات بعض الكتاب والمختصين، فهو ليس مخالفا للتفسير العلمي لآيات القرآن الوجودية، وتوظيف العلوم التجريبية لتفسير تلك الآيات بطريقة منهجية و دقيقة، وإنما يستخدمها في تفسير"التسنيم".

إن تفسير الآيات العلمية للقرآن الكريم بما يتوافق مع عصر العلم، يواجه مشاكل وصعوبات ينبغي للباحثين والخبراء أن ينتبهوا إليها ويفهموها جيدا قبل القيام بتفسيرالآيات العلمية. وهنا يمكن حصر أهم المعوقات والتحديات التي تواجه الباحثين في تفسير وفهم الآيات العلمية، وفقاً لآراء سماحة الشيخ جوادي آملي في ما يلي :

١. وجود الضعف والقصور في المبادئ والأسس والفرضيات، وافتقار المعرفة اللازمة والمتخصصة في العلوم التجريبية، وهذا ما يعاني منه المفسر. فهو يفسر الآيات رغم فقدانه المعرفة الضرورية في هذا المجال.

٢. إنَّ العلم التجريبي هو أضعف المعارف وأكثرها عرضة للخطأ، وذلك لمحدودية العلوم التجريبية في فهم الآيات العلمية، و وجودها في دائرة الاختبار، ونموها في

المجال الصوري، والحركة الأفقية دون النظر إلى السبب الفاعل والمطلق، وما شابه ذلك.

٣. حاجة المعرفة الإنسانية إلى معرفة عقلانية ومجردة لاكتشاف نتائجها وإثباتها، مما يعني أن العلوم التجريبية دون العلوم المجردة لن تتمكن أبداً من تحليل وتفسير آيات القرآن وكشف أسراره العلمية.

٤. العلموية، وهي اعتبار العلم الوسيلة الوحيدة و الموثوق بها لحل جميع مشاكل الإنسان، والدليل الأوثق و المعتمد عليه للوصول إلى الحقيقة، والبلسم لجميع آلام البشرية، ومن هنا ينبثق فرض الرأي على القرآن وتطبيق الآيات الإلهية وفقاً لما تتوصل إليه العلوم.

٥. الارتعاب من فرضيات العلوم البشرية، حيث يحاول بعض الخبراء الذين نصبوا أنفسهم مفسرين للقرآن، تقديم أنفسهم كعلماء من خلال قبول الفرضيات والنتائج المفترضة للمعرفة الإنسانية. هذه المجموعة المحسوبة على المفسرين، حتّى في حالة عدم وجود فرضية، فإنها تُعَبِّرُ بنفسها عن إمكانيات تفسيرالحقائق العلمية للقرآن من خلال التفسيربالرأي.

٦. قبول الخبر المفرد في تفسير آيات القرآن الكريم؛ إنَّ بعض علماء علوم القرآن استخدموا الأخبار الأحادية غير المؤكدة والظنية كتفسير لحقيقة الآيات الإلهية؛ بينما كان ينبغي عليهم استخدام هذا النوع بناءً على أنه من الأخبارالظنية، وليس أكثر.

لذلك، ومن أجل أن يحصل الناس على تفسيردقيق وسليم للآيات العلمية في القرآن الكريم، يجب توفّر الشروط والميزات اللازمة في المفسِّر، إضافة إلى إزالة التحديات العالقة على طول الطريق، والسير في اتجاه زيادة المعرفة وفهم حقائق عالم الكون.

هوامش البحث

(1) https://lorestan.iqna.ir

(٢)- كل علم يحتاج إلى سلسلة من المعارف قبل التعامل مع تصميمه وحل مشكلاته؛ ومنها: معرفة طبيعة الموضوع ومعناه، ووجود الموضوع، ومعرفة المبادئ التي يمكن من خلالها إثبات مشكلات ذلك العلم، وتسمى مثل هذه القضايا مبادئ العلم. (مصباح: ١/٨٧/١٣٧٠)

(٣)- شريعتي محمد تقي، تفسير نوين، ص٩، وبزركان ، مهدي، الطريق المسلك، ص٦٨ و...

(٤)- النحل: ٧٨

(٥)- ر . _ _ ك: جوادي الآملي ٢٠١٠ ، تسنيم ١/ ١٨١

(٦)- المرجع: جوادي املي ٢٠١٥ ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ٤٥٢/١ .

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبنديء به القران الكريم.

١. إبن بابويه، أبو جعفر محمد(الشيخ الصدوق)، التوحيد للصدوق، جامعة المُدرسين، بيجا، بيتا

٢. أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار المدار الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣. بابائي علي أكبر، مراجعة مدارس التفسير، ج٢، مركزدراسات الحوزة والجامعة، قم ٢٠١٦.

٤. بازركان، مهدي، الطريق المرسوم، دار سهامي للنشر، طهران، بيتا.

٥. جوادي آملي، عبد الله، الإسلام و البيئة، الإسراء، قم، ٢٠١٨

٦. ـــــ " توقعات الإنسان من الدين "، الإسراء، قم، ١٣٨٩

٧. ـــــ " بيان أدلة وجود الله ""، الإسراء، قم، ٢٠١٤

٨. ـــــ " تفسير تسنيم "، الإسراء، قم، ٢٠١٣.

٩. ـــــ " الشرح الموضوعي ١(القرآن في القرآن)، الإسراء، قم، ٢٠١٥.

١٠. ـــــ " الشرح الموضوعي ١٦ (الهدى في القرآن) "، الإسراء، قم، ٢٠١٥.

١١. ـــــ "الحقيقة و التأثير الإعجاز"، الإسراء، قم، ٢٠١٤

١٢. ـــــ " رجال تفسيري، ج ١ "، الإسراء، قم، ٢٠١٣

١٣. ـــــــ " رحيق مختوم، المجلد ٢٠ "، الإسراء، قم، ٢٠١٦

١٤. ـــــــ " منبع الفكر، ج١ "، الاسراء، قم، ١٣٨٦

١٥. ـــــــ " سروش هدايت "، الاسراء، قم، ١٣٨٥

١٦. ـــــــ " كرامة العقل في هندسة المعرفة الدينية "، الإسراء، قم، ٢٠٠٩.

١٧. جميلي السيد، " العلم في القرآن "، بيروت، دار النفيس، ١٤١٨هـ.

١٨. حافظ إبراهيم، مدحت، " العشارات العالمية في القرآن الكريم "، مدرسة الغريب، القاهرة، بيتا.

١٩. خواجة ناصر الطوسي، " أوساف الأشرف "، بيتا، بيجا

٢٠. الأصفهاني، راغب، أبو القاسم بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المعهد العلمي، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٢١. رستمي، حيدر علي، المدخل إلى تفسير القرآن الكريم، المطبوع.

٢٢. رضائي اصفهاني، محمد علي، منطق التأويل (٢)، مركز المصطفى الدولي للترجمة والنشر، قم، ٢٠١٨.

٢٣. رافعي محمدي، ناصر، التفسير العلمي للقرآن، فرهنك كوستار، طهران، ١٣٧٩.

٢٤. السبحاني، جعفر، تفسير صحيح آية مشكاة، مؤسسة الامام الصادق، قم، ١٣٨٧.

٢٥. سيد قطب، إبراهيم، تفسير في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٦. شريعتي، محمد تقي، "تفسير نوين"، دار النشر الاسلامي فرهنك، طهران، بيتا.

٢٧. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مكتب النشرات الإسلامية، مجمع مدرسي الحوزة العلمية، قم، ١٤١٧هـ.

٢٨. الطبرسي، أبو علي، فضل بن حسن (أمين الإسلام)، « تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن »، المكتبة الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٩٥هـ.

٢٩. الفراهيدي خليل بن أحمد. كتاب العين، منشورات هجرة، قم، ١٤١٠هـ

٣٠. كلشاني، مهدي، "القرآن والعلوم الطبيعية "، معهد بحوث العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، ٢٠١٩

٣١. مصباح يزدي، محمد تقي، التربية الفلسفة المجلد الأول "، منظمة الاعلام الإسلامية، طهران، ١٣٧٠

٣٢. تعاليم القرآن،

٣٣. مصطفوي حسن، « التحقيق في كلمات القرآن الكريم »، شركة ترجمة الكتب والنشر، طهران، ١٣٦٠.

٣٤. معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج٦، مؤسسة النشار الاسلامي، قم، ١٤١٧هـ.

٣٥. هت، جون ف. «علم الدين من الصراع إلى الحوار»، بتول نجفي، طه، قم، ١٣٨٢.

36. https://lorestan.iqna.ir

https://alzahra-s3-gorgan.kowsarblog.ir